العدد (4123) السنة الخامسة عشرة - الإثنين (29) كانون الثاني 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

توبوس معاذ الآلوسي.. الدفاع عن طريقة عيش بغدادية

خالد مطلك

" لا أخشى القول إنني أدافع في (توبوس) عن طريقة في العيش، وعلى وجه التحديد عن الطراز البغدادي للعيش، لأني أرى أن هذا الطراز يختفي ويجار عليه "

جرّب معاذ الآلوسي ثقافات عيش متنوعة في مطلع شبابه، وأضطر إلى تجربة سواها في كهولته، فقد درس العمارة في تركيا ومارس المهنة متدرباً في المانيا بعيد الحرب العالمية، مرَّ بأيطاليا كثيراً وأحب روما وفكر في الاستقرار فيها، عاد إلى بغداد للعمل مع رفعت الجادرجي ثم ذهب للدراسة في لندن في وقت كانت تشهد تبدلات في المزاج الثقافي التي أجتاحها في ستينيات القرن الماضي، عمل فترة في منطقة الخليج ولم ترق له، أنتقل إلى بيروت ليغادرها إلى أثينا ومنها إلى مستقره الأخير في جزيرة ليماسول.

فهو حين يدافع عن طراز بغدادي للعيش، فإنه يدافع عن ثقافة مدينة نشأ في واحدة من أعرق محلاتها (الأعظمية)، ثم عاد وتأملها من خارجها، لأن الثقافة في السياق الأنثربولوجي يتعذر تعريفها من داخلها، وليس بوسع أي باحث أن يرسم لها حدوداً واضحة دون أن يترك مسافة بينه وبينها.

من هنا جاء كتابه الثاني (توبوس) ليس بوصفه مجرد سيرة معمارية فنية، نتوقعها في حياة واحد من ألمع المعماريين في منطقتنا، وأبرز المساهمين في نمو بغداد الحضري في مرحلتها المتأخرة نسبياً، وإنما نحن بصدد قراءة ثقافية معمقة لهذه المدينة وظروف تشكل هويتها الحديثة، مقارنة مع مدن تجوال هذا المعماري الفذ بحسه الجمالي المتفرد، وشغفه المفرط بالحياة وعشق مسراتها، فالعمارة بالنسبة له هي (العيش الجيد) أو الإنتقال إلى (نمط عيش جيد).

وفي هذا الكتاب نستطيع أن نستكشف مع الآلوسي أنساقاً ثقافية في طريقها إلى التواري لما طرأ على بغداد من تغييرات عنيفة طالت جوهر فكرتها كمدينة قابلة للحياة العصرية، فمعه نستطلع تراتبية الأسرة البغدادية التقليدية، كوحدة أجتماعية ذات قواعد ضمنية للعيش والتفاهم المشترك وتوزيع الأدوار ومراكز القوى " كل من سكن بيتنا يعرف حدود تصرفه القائم على الأحترام والهدوء. الكبير يُحترم حد التبجيل، هناك هرم متدرج في السلطة المنزلية حسب الأعمار" ثم من الأسرة ننتقل إلى الوحدات الأجتماعية الأكبر، التي تتشكل وفق شروط علاقات المصلحة المدنية بعيداً عن الروابط التقليدية للمجتمعات التي سبقت ظهور الدولة، فثمة غياب واضح للتجمعات القبلية والعرقية والأثنية عبر الإندماج التلقائي في مجتمع المحلة والمدينة.

من خلال هذا الكتاب، نستطيع كذلك قراءة المزاج الثقافي لسكان العاصمة، وهم يعيشون لحظة انتقال بنيوية، فرضتها بنية تحتية حديثة وإنفتاح ثقافي على العالم، حيث ظهور المسارح والسينمات ودور العروض الفنية وولادة الجامعات الحديثة التي يشرف عليها أساتذة ومختصون من دول العالم المتقدم.

ولئن كانت مجريات الأحداث في (توبوس) تدور حول بطل هذه السيرة، حول طفولته ومراهقته وشبابه ومغتربه، فإنها تكشف لنا وبعمق عاطفي عن رحلة مدينة بغداد وهي تتجه برغبة عارمة وأمل غير مبالغ به نحو اقتراح حداثي بدا تحقيقه ممكنا في حينه، إذ إننا نتجاوز معه مرحلة تأسيس الدولة الفتية بنسختها الملكية إلى مرحلة النتائج المثمرة، حيث ظهور الطبقتين البرجوازية والوسطى والدور الذي أختاتاه على عاتقهما في مهمة النهوض بالحياة في مختلف الميادين.

ولد معاذ الآلوسي في (رأس الكنيسة) على يد قابلة يهودية منذوراً للسيدة العذراء ومصحوباً بأدعية إسلامية ومسيحية ويهودية "بهذا يمكن القول إنني كنت محظوظاً ، بل إن الحظ حالفني إلى النهاية" والحق إننا بصدد سيرة رجل محظوظ، ولد في مدينة لسوء الطالع هي ليست كذلك. لعبت بعض المصادفات في توجيه مجرى حياته، لتقدم لنا فناناً مرهفاً ومعمارياً كبيراً أقترن اسمه بمشروع شارع حيفا، أحدث المشاريع العمرانية في بغداد.

معاذ الآلوسي من عائلة بغدادية عريقة، عرفت نوعاً من الإنضباط الإجتماعي الصارم، يرافقه هوس بالمعرفة وشغف بالفن، حيث لم ينقطع والده عن القراءة وإدامة مكتبة البيت بكل ماهو جديد وممارسة هوايته في الرسم، وعن هذا الأب أخذ الأبن تعلقه بالخط والشكل واللون، ومن صرامة هذا الأب وجديته، تعلم الفتى معنى أن يؤسس حريته الشخصية ليفسد على مهل كما يقول. ومن أجل هذه الحرية، أختار الدراسة خارج البلاد ودشنها بتدخين أول سيجارة على متن القطار الصاعد نحو أنقرة، وتناول أول قدح بيرة مع عجوز أنكليزية صادفها في هذه الرحلة، ليعلن تمرده على سلطة العائلة وبعيداً عن رقابتها.

دراسة العمارة لم تكن رغبة طارئة، أو مغامرة غير محسوبة قاده نحوها معدله الدراسي، الذي لعب دوراً كبيراً في تحديد مصائر أصدقاء طفولته (أنا قد أتخذت قراري، بمعدل أو غير معدل : العمارة!).

" أستطيع أن أبرر هذا الخيار، فأنا ترعرت بين أبنية وتخطيط حضري متميز أتصف بالرقة والجمال. البيئة التي نشأت فيها ذات عمارة متميزة، تمتد من النادي الرياضي الأولمبي في ساحة عنتر وتنتهي بالمقبرة الملكية، وبينها دار حماية الأطفال وكلية العلوم، ثانويات بغداد البنات والبنين، جامعة أهل البيت، دار المعلمية الأبتدائية، إنها أبنية شاخصة إلى يومنا هذا، بمواد محلية وحلول لعمارة أصيلة"

تعرف في مطلع شبابه على أبرز المعماريين البغداديين الذين تصادف أنهم يعيشون في نفس منطقته، بالإضافة إلى مجموعة من الفنانين المثقفين، ومن بينهم رفعت الجادرجي وقحطان عوني وقحطان المدفعي، وقد اعتادوا الظهور برفقة جواد سليم وزوجته لورنا سليم وهم يتنقلون على دراجاتهم الهوائية. شاء الحظ مرة، أن يلتقي هذه النخبة وهو ينصت إلى أحاديثهم مع فرانك لويد رايت أبرز معماري العالم آنذاك، الذي حضر إلى بغداد للمساهمة في مسابقة معمارية، حين سحرته أناقته المفرطة بربطة البابيون وطريقته في الحديث و "وقار العمارة الذي يشع منه".

وبين لحظة ولادته في الكرخ وطفولته في الأعظمية ورحلته الدراسية إلى خارج البلد، يكشف لنا الألوسي طبيعة المجتمع البغدادي منذ خمسينيات القرن الماضي ونسيج علاقاته المتشابكة بين مكوناته التقليدية، فبغداد كانت بغدادية بتنوعها العرقي والأثني والمذهبي، وهي بغدادية بانشراحها وبساطتها وإنفتاحها على الجميع.

فوق هذا وذاك، هي بغدادية بمرونتها وقابليتها التلقائية على النمو والتطور ومواكبة عواصم العالم الحديث، ولعل سيرة ذاتية من هذا النوع، ومن بغدادي هو أكثر الناس شبهاً بمدينته وتماهياً مع روحها تضعنا أمام صورة حية لروح المدينة، صورة لا يمكن أن تظهر فيها كل هذه الملامح دون أن يكون المصور هو معاذ الألوسي، الرجل الذي إذا تحدث عنها أمتلأ قلبه بالوجع وأغرورقت عيناه بالدموع، فالعاطفة التي يحملها نحو مسقط رأسه، ليست عاطفة ساذجة ومجانية، إنها العاطفة المفكرة، الراغبة والمتأملة. الحنين معه ليس عفويا والحزن عنده ليس فطريا.

فهذا الفنان المثقف، الذي ينتقل بك من جماليات السينما العالمية إلى عالم التشكيل ومدارس العمارة والفلسفة والحس الفائق بالفراغ والبيئة والظل والضوء، وتلك القدرة الهائلة على وصف أدق تفاصيل ثقافة المجتمعات التي عاش فيها وهو يراقب بعين الباحث الإنثربولوجي أنماط العيش وتعقيدات الحياة التي تتشكل فيها هوية كل مدينة من مبتكرات عمارتها و مطبخها إلى سلوك أفرادها في البيت والشارع وعلاقتهم بالوقت والعمل واستخدام المرافق العامة، هو تركي في تركيا وألماني في ألمانيا وأيطالي في أيطاليا وأثني في أثينا، تعيش معه ثقافة كل مدينة وتتذوق طعامها وتدخل مسارحها وسينماتها. تتعرف على مثقفيها ورموزها وعادات أهليها وتقاليدهم ثم تعود معه إلى بغداد التي يبرر حزنها كواحد من خصائصها الجمالية.

على خلاف الكثير من السير التي يكتبها معماريون، يركز معاذ الآلوسي على الإنسان بوصفه صاحب الحق في الحركة على مسرح الأبنية التي صممت من أجله. لا يستغرق كثيرا في وصف التصاميم الهندسية، ولا يضطرنا إلى قراءة المعالجات الإنشائية والحلول التكونينة، يترك كل هذا كخلفية لحركة الناس أفراداً ومجتمعات، ليقترح لنا عمارة الحياة بكل تفاصيلها الجميلة والقبيحة، فهو يتمتع بذاكرة شاملة غير إنتقائية وغير منحازة، تندفع مثل مياه النهر الذي تربى قريباً منه، بصفاء سطحه وأوشاله، بوضوحه وغموضه، بوادعته وشروره. يتحدث عن المجتمع الطبيعي بكل تناقضاته، كما إنه لا يستثني نفسه من الإفصاح عن رغباتها المشروعة وسواها، ليكشف لنا عن جانب مهم من شخصيته، هو هذا التعلق الجنوني بعالم النساء والتورط معهن بعلاقات غرامية مدفوعاً نحوهن بهوس غير مبتذل لمباهج الحياة، حتى لتقترب بعض إعترافاته من إعترافات روسو، وهذا أمر يندر، أو ربما ينعدم في كثير من السير التي أطلعنا عليها.

" أنا ضعيف أمام النسوان، طلبات النسوان، خاصة الجميلات منهن. هن على الدوام محل إعجابي وولهي"

نساء الآلوسي فاتنات وشهيات دون أن نتعرف على ملامحهن، فهو بخيل في وصف هذه الملامح، ولكنك تستشعر هذه الفتنة في لغته التي تجهد في القبض عليهن مرة أخرى، يتحدث عنهن بلذة مفرطة وأنثيال حسي فاضح مشوب بشيء من الكبرياء.

كاميرا الكانتينا: (توبوس) المراهقة.

في مراهقته حال والده دون رغبته بالسفر الى طهران، فاشترى بثمن الرحلة كاميرا نوع (كانيتنا) رافقته خمس عشرة سنة من حياته "سجلت كاميرتي مدناً وقرى ومشاهد الوطن شمالاً وجنوباً، البصرة وأبي الخصيب، سولاف وسرعمادية من جهة الموصل، وبيارة وطويلة وبنجوين وحلبجة من جهة السليمانية، كلي علي بيك وصلاح الدين والقرى النائية من منطقة أربيل. جاء شغفي بالتصوير الفوتغرافي المبكر أشبه بتوطئة لاختيار مهنتي، كما فهمت بواسطته جغرافية وطني وسجله الاجتماعي . الأثنوغرافي المتنوع".

إذا كان هذا الكتاب هو محاولة للقبض على جوهر الأمكنة التي أحبها في صباه فأن الكاميرا هي أداة القبض على شكل هذه الأمكنة، هي نوع من " الطابو" البصري لحيازة الأشياء غير الممكنة التي تعيش في الماضي. فالمكان والزمان هما ضالة الكاتب ويوتيباه المفقودة، الذين خصهما بعنوان كتابه (توبوس.حكاية زمان ومكان). أمام عدسة هذه الآلة التي اشتراها من صديق، مرت الآف المشاهد التي تغيب الآن في النسيان، وتبتعد في غياب يكاد يكون أبدياً لولا الأرشيف الذي لم يتحدث عنه الكتاب، ولم يخبرنا عن مصير الصور الكثيرة، التي تسجل لحظات عشوائية على خط الزمن المستقيم. الأمكنة أصبحت في ذمة الذاكرة، التي لا تستعيد الماضي كما نتوهم، بل هي أكثر من يؤكد حضوره المستحيل.

ثمة حلم بمدينة حديثة، وثمة أمل صادق، وثمة رغبات عميقة تبددت في الضياع. في ألمانيا وفي مكتب التدريب استقلبه المعماري الألماني "بلغة إنكليزية جيدة رحب بي. ولأني من بغداد ذات السحر القديم والبساط السحري والجني المارد. بدأ تحقيق آخر يتصف بالثقافة الشعبية واللطف والتعرف على هذا الشخص الذي جاء من دجلة الجبار" هذا هو إذن قدر بغداد كمدينة من الخيال والحكايات والقصص، تعيش في ذاكرة البشرية دون أن توهب القدرة على الظهور من جديد في مسرح التاريخ.

بغداد المدينة الأريحية التي لديها كل أسباب التقدم والألتحاق بالعالم الحديث " كنا نحلم ببغداد متمدنة ، تتفاعل مع محبيها في سبيل رفعتها وخصوصيتها، حاولنا تعريق كل أوجه التمدن في سبيل التواصل والإنفتاح، لخلق خصوصيتنا وهويتنا الثقافية البغدادية .... من المؤكد أننا كنا نحلم. لم نكن ندرك إن التخلف كان بنيوياً، مركباً بين التنظيم العشائري والنظام السياسي"

كم هو محزن أن يدرك فنان مثل معاذ الآلوسي، إن مدينته التي يهيم بها غراماً عصية على التقدم، وإن التخلف فيها بنيوي وخارج عن إرادتها، فيضطر إلى أحالتها من الأمل إلى صفحات كتاب مشوق وحقيقي وصادم ومليء بالخيبات يصدر عن ذات عارفة ومتأملة، شهدت حياة حافلة وضاجة بالمسرات والآلام دون تزويق وبنهم إنساني يعشق الحرية ويتطلع نحو تخومها من غير تردد وأرتباك.

كنت دائما أقول، إن مدنيّة بغداد هي إقتراح معماري تشكيلي بالدرجة الأساس وضع أسسها أبناء الطبقة الوسطى من الشباب البغداديين الذين تلقوا تعليمهم في الخارج، وإن غياب هذه المدنيّة هو بسبب الهجرات الإضطرارية لأبناء هذه الطبقة، الذين عانوا من سوء فهم مزمن من قبل الأنظمة السياسية القادمة من الأرياف في الغالب " لقد هاجرت لأني أرى الجمال يسحق في بلادي ويتشوه فيها العيش الإنساني، وتنعدم حقوق المواطن بالعيش الكريم المتحرر المتمدن، هذه حقيقة عشتها بألم وحرقة، وأضطرتني إلى الرحيل إلى أمكنة حرة ... لقد هاجرت قبل أن أموت بأختناق بطيء"

نادرة هي الكتب التي تضعك مباشرة أمام موضوعها، والأكثر ندرة منها، هي تلك التي تنحنى جانباً، لتتركك تتحدث مباشرة مع مؤلفها، وهذا الكتاب واحد من هذه الندرة.

كانت بغداد قبل قراءة لتوبوس معاذ الآلوسي فكرة مبهمة وصارت بعده فكرة مستحيلة، لاأريد أن أقول إنه مادة لليأس، ولكنه محاولة عميقة في الأمل ليس لي طاقة على أحتمالها. إن ولادة جديدة لبغداد تستدعي جيلاً جديداً يتعلم في مدارس حقيقية على يد أساتذة مخلصين يحبون المدينة كما أحبها جواد سليم ورفعت الجادرجي ومعاذ الآلوسي.

في حياتي رأيت بشراً كثيرين يشبهون الأماكن التي ولدوا فيها، لكنني لم أصادف رجلاً يشبه بغداد مثل معاذ الآلوسي.

البرج العاجي

▪ فوزي كريم

بيزارو روسّيني

(٢ - ٢)

أجملُ المظاهر في مدينة "بيْزارو" الساحلية أنك ما أن تشهد عرضاً أوبرالياً حتى ترى أبطالَه من المغنين يجوبون شوارعَها ومقاهيها ومطاعمها، في الليلة ذاتها، أو في اليوم التالي. جيل شاب، لم يصبح معظمهم نجوماً عالميين بعد، فهم في متناول البصر واليد. و"مهرجان أوبرا روسيني" Rossini Opera Festival منح المدينةَ وأبناءها وزائريها حميميةً خاصة، لا تقع عليها في أي مهرجان عالمي للأوبرا.

في "أرينا أدرياتك" بالغة الضخامة اغتنيتُ بعملين لروسّيني، الأول "حصار كورينثَ"، وضعها في مطلع إقامته في باريس عام ١٨٢٦، و"المِحك" التي تنتسب لمرحلة مبكرة ١٨١٢. عملان متعارضان، الأول تراجيدي، والثاني كوميدي. وبالرغم من طغيان اللمسة الكوميدية على أوبرا روسيني، حتى أنه حين التقى بيتهوفن وهو مرحلة صممه التام نصحه الأخير، بعد أن أطرى "حلاق أشبيلية"، بأن يظل كوميدياً، لأن الكوميديا تناسب طبيعته. إلا أنه لم يُخفق في التراجيديا، وله منها أعمال عدة: عطيل، تانكريدي، سميراميس، اليزابيث، موسى في مصر، وليم تيل...

وضع روسيني "حصار كورينث" The Siege of Corinth تمجيداً للمدينة اليونانية التي حُطمت على يد الأتراك، أبان حرب الاستقلال ١٨٢٦. ولكنه انتخب حدثاً تراجيدياً شبيهاً، يوم حاصر السلطان الشاب محمد الخامس، بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣، مدينةَ "ميسولونجي" اليونانية. الحكاية تقول أن الشاب "منصور" (محمد الخامس فيما بعد) كان يصطاف في أثينا، والتقى فتاة تُدعى "باميرا" فتحابا. بعد اقتحامه المدينة يلتقي محمد الخامس ابنة حاكمها، وإذا بها "باميرا"، فيتعانقان ويقرر الزواج منها، وإصدار العفو العام. إلا أن "باميرا" تدخل محنة الصراع الداخلي بين "حبها" للسلطان التركي، وبين "واجبها" لمقاومة احتلاله. تحت وطأة الحرب الخارجية والحرب الداخلية تقرر "باميرا" الانتحار، مع جمع غفير، على أن تستسلم لعواطف الحب الحارقة.

في اليوم التالي شاهدتُ الكوميديا "المحك" The touchstone، وقد أعطاها المخرجُ زماناً ومكاناً حديثين، يحار فيها الكونت "استروبالي" بين نساء أربع، من منهن الأكثر إخلاصاً. يقترح عليه مساعدُه أن يدّعي الافلاس، على أثر رسالة يستلمها من دائنه، كمحك لمعرفة المقربين منه. ينفضُّ عنه الجمع المحيط إلا واحدة، هي "كلاريسي"، التي يميل إليها قلبُه، وقلبُ صديقه الوفي "جلوكوندو". بعد أن يزعم من جديد استرداد ثروته يقع الجمعُ المحيط في مأزق. في حين يظل صديقه الوفي في محنة حبه الكتيم، ويعبر عن ذلك في أغنية رائعة لا أحسن ترجمتها:

Quell'alme pupille io serbo nel seno

في ليلة اليوم الثالث عدتُ إلى "مسرح روسيني" التقليدي في قلب المدينة القديمة لأشاهد أوبرا العاشقين "تورفالدو ودورليسكا" Torvaldo and Dorliska (١٨١٥). عمل موزع بين التراجيديا والكوميديا، مستوحىً من مسرحية لكاتب ثوري يُدعى دي كوفراي. العمل يحدثنا عن حكاية حب بين أحد الفرسان "تورفالدو" وزوجته "دورليسكا"، في مقابل "دوق" بالغ العنف والسطوة، يحب بدوره "دورليسكا"، يسجنها في قصره، ويسعى إلى قتل زوجها. حارس الدوق "جيورجيو" وأخته "كارلوتا" يراقبان ما يحدث من مظالم عن غير رضى. يسعيان، مع جمع من أصحابهما، إلى التآمر على الدوق. وفي ذروة محاولة إنجازه تحقيق الرغبة لقتل الزوج واغتصاب الزوجة، يُفاجأ بالجمع الغفير تحت قيادة "جورجيو" يدخل القصر لإلقاء القبض عليه وإيداعه في سجن قصره. قصص الأوبرا ليست إلا مادة لدائنية بين يديْ الموسيقى، من آلات أوركسترا وحناجر مغنين وإنشاد كورس، تحت قيادة مواهب بارعة. وبين يديْ مخرجين ومصممي ديكور وأزياء لا يقلون براعة. وهذا ما رأيته، واغتنيت به: حاسةً، روحاً وعقلاً. والجمهور الإيطالي عجيب في طبيعة استجابته بين جماهير الأوبرا في العالم. فهو يضرب بقدميه، ويصوّت بفمه "هو هووو.." إن لم يُعجبه أداءٌ من مغنٍّ أو قائد أوركسترا. ولقد حدث ذلك في التراجيديا الأولى حين طالت موسيقى الباليه دون راقصين، وفي الكوميديا حول غناء البطلين، حتى اشعرني الأمر بالحرج.

لم أذكر الأسماء الكثيرة المشاركة في الأعمال الثلاثة، فهي متوفرة في موقع المهرجان لمن يرغب http://www.rossinioperafestival.it

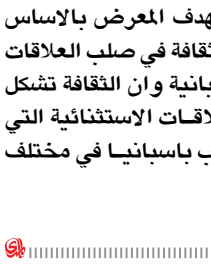

وضع روسيني "حصار كورينث" The Siege of Corinth تمجيداً للمدينة اليونانية التي حُطمت على يد الأتراك، أبان حرب الاستقلال 1826.

من غويا الى اليوم

الرباط / فاضل محسن

يحتضن متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر بالرباط / المغرب للفترة من ٣١ تشرين الأول ويستمر حتى الرابع من شباط معرضاً فنياً (من غويا الى اليوم)

وأفاد بلاغ للموسسة الوطنية للمتاحف " إن المتحف يستقبل خلال هذه الفعالية المجموعة المتخصصة والخاصة ببنك اسبانيا والتي تخرج لأول مرة خارج اسبانيا بسبعون عملاً فنياً متنوعاً لكبار الفنانين الى جانب غويا ، ويمنح المتحف للزائر فرصة السفر بين حقب تاريخية منتقاة

وصرح السيد مهد قطبي رئيس الموسسة المغربية للمتاحف خلال مؤتمره الصحفي

" التحف تعرض لأول مرة خارج اسبانيا وقد جلبنا اسماء كبيرة في مجال الحداثة ، ونشتغل اليوم من أجل ان تكون المتاحف على غرار متاحف العالم المتميزة ، وتابع :

إن المغرب هو أول بلد في افريقيا والعالم العربي يضم متاحف متخصصة في كل فن ، وقد خصصنا متحفاً في الرباط للتاريخ بالاضافة الى متحف للخزف في مدينة آسفي ومتحفاً في مدينة فاس سيفتتح قريباً للفنون الاسلامية ، بالاضافة الى مشاريع متحفية وفنية في مدن مراكش وطنجة .

ويعتبر فرانثيسكو غويا المولود في سرقسطة العام ١٧٤٦ والمتوفى في العام ١٨٢٨ بفرنسا والذي عكس فنه الاضطرابات السياسية والاجتماعية ، وتضمنت أعماله صور لطبقة النبلاء وشهرته برسم " اللوحات السوداء " وهي التسمية التي اطلقها النقاد على ١٤ عملاً فنياً كان قد رسمها الرسام في السنوات الأخيرة من حياته على جدران من له الشهير – منزل الرجل الأصم – وعكست تلك اللوحات نظرة الفنان للبشرية وخوفه من الجنون وأحساسه بالهلع والهيستيريا بسبب الصمم الذي اصيب به ، اضافة الى الظروف السياسية المضطربة في بلده اسبانيا في وقتها ، وقد استخدم برسم تلك الاعمال (لوحاته السوداء) الالوان الزيتية على جدران غرفتي الطعام والجلوس في المنزل ، واحتوت رسوماته مواضيع خيالية سوداوية . وأما سبب التسمية فكانت من نقاد الفن في تلك الفترة التي عاشها الفنان

وكان لحضور الفن الاسباني لفترة مابعد الحرب العالمية الثانية من أبرز نقاط قوة هذه المجموعة المشاركة الى جانب أعمال الفنان غويا لما تضمه من اسماء مشهورة ، كما إن التيار الواقعي لفنانين من امثال أكيبو كرونيا وتابيس ، بالاضافة الى التشكيل الجديد متمثلاً بغور ديلو وباوسيلو حاضراً وبقوة في الاقسام الاخرى من الفعالية الكبيرة

وعلى هامش الفعالية أكد السفير الاسباني بالمغرب " إن معرض(من غويا الى اليوم) هو نظرة على المجموعة المتخصصة لبنك اسبانيا الذي تنظمه المؤسسة الوطنية للمتاحف وبنك اسبانيا ومتحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر وبشراكة وتعاون مع وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الاسبانية ويهدف المعرض بالاساس الى وضع الثقافة في صلب العلاقات المغربية الاسبانية وان الثقافة تشكل جزءاً من العلاقات الاستثنائية التي تربط المغرب باسبانيا في مختلف المجالات.